مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد الثامن ،العدد الأول أكتوبر ،2022 ص- ص:623-641

الحركة الإصلاحية في وادي مزاب من خلال الصحافة الإصلاحية الجزائرية
جريدة الأمة اليقظانية أنموذجا

The reform movement in M'zab through the Algerian reformist pressAl-Umma Al-Yaqzanah newspaper as a model

د. موسى تريعة (*)
جامعة غرداية (الجزائر)، mossa17@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/ 01 **تاريخ القبول:** 2022/09/ 28 **تاريخ النشر:** 2022/10/ 11

الملخص

يهدف هذا المقال إلى محاولة التعرف على إحدى الصحف الاصلاحية التي برزت خلال مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين بفضل أحد رجالات الاصلاح في الجزائر ،الا وهو الشيخ أبو اليقظان الذي ساهمت صحفه الثمانية بدراسة عدة قضايا محلية في مزاب ووطنية وعربية ، وسنحاول في هذا المقال التعرف على اهتمامات جريدته الامة التي أسسها سنة 1933 من خلال دراسة مظاهر الحركة الاصلاحية في مزاب .

الكلمات الدالة: الحركة الاصلاحية ،وادي مزاب ، جريدة الامة ، أبو اليقظان ، الاصلاح

Abstrac:

This article aims to try to identify one of the reformist newspapers that emerged during the thirties of the twentieth century thanks to one of the reform men in Algeria, namely Sheikh Abi Al-Yakdan, whose eight newspapers contributed to the study of several local issues in the mizab, national and Arab, and we will try in this article to identify the concerns of His newspaper, the nation, which he founded in 1933 by studying the aspects of the reform movement in the mizab..

Keywords: The reform movement, mizab, Al-Ummah newspaper, Abu Al-Yakdan, Al-Islah

1. مقدمة:

* المؤلف المرسل.

عرفت منطقة مزاب حركة اصلاحية شاملة خلال النصف الاول من القرن العشرين ، وشملت عدة مجالات منها السياسة والاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية ،واتخذت هذه الحركة الاصلاحية عدة وسائل للتعبير عن رغائبها منها الصحف والجرائد ومنها جرائد الشيخ أبو اليقظان ، أحد أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وقد كانت له ثمانية صحف تميزت كلها بطابعها الاصلاحي مما جعلها عرضة للإيقاف من الادارة الاستعمارية ، ومن هذه الصحف التي كانت منبرا للإصلاح السياسي والديني والاجتماعي جريدة الامة التي اسسها الشيخ ابو اليقظان سنة 1933 وبقيت في الصدور الى سنة 1938، وقد حرصت جريدة الأمة على تتبع كل الأحداث التي عرفتها الجزائر عامة ومنطقة وادي مزاب خاصة، كما تتبعت بعض الأحداث التي عاصرتها عربيا وإسلاميا، إضافة إلى تغطية الاحتفالات والأعياد والمناسبات الدينية والمهرجانات الثقافية وغيرها.

كما بينت جريدة الأمة من خلال مقالاتها المتنوعة، بأن الإصلاح يعتبر منهجا أساسيا للتغيير ولن يتم الإصلاح إلا عن طريق الاهتمام بالتربية، الحفاظ على المقومات الشخصية، الاهتمام بالتعليم وغيرها من مجالات التغيير عندما تتطلع الأمة إلى خيارات أخرى تمضي بالأمة قدما نحو الرفاهية والتطور.

1.التعريف بشخصية أبي اليقظان :

هو الأستاذ حمدي إبراهيم بن عيسى، كنيته أبو اليقظان، ولد في 29 صفر 1306هـ الموافق لـ 25 نوفمبر 1888م بمدينة القرارة جنوب الجزائر، إحدى بلدات مزاب .[1]

فوالده هو الشيخ الحاج عيسى بن يحي من عشيرة البلات، يعتبر من مشاهير القرارة، كان حافظا لكتاب الله تعالى إماما واعظا بمسجد القرارة لمدة 14 سنة،وعضوا بارزا في المجلس الديني المعروف باسم " العزابة"، و قد كان للشيخ قدر كبير في وسط المدينة نظرا لعفته وكرمه و سلوكه القويم، لذلك أحبه الناس و عشيرته، كما اهتم الشيخ برعايته لليتامى فكان وكيلا لهم يساعدهم في حياتهم اليومية و الحفاظ على قوام دينهم و أخلاقهم.[2]

وعندما توفي الشيخ الحاج عيسى سنة (1307هـ 1890م) ترك وراءه بنتا و ثلاثة أبناء أصغرهم إبراهيم (أبو اليقظان)، اعتنى بالأسرة الشيخ الحاج إبراهيم الأبريكي.

ارتبط اسم الشيخ بكنية أبي اليقظان من الإمام الرستمي الخامس (أو اليقظان مُحَمَّد بن أفلح) و هذا لخصاله الحميدة و شخصيته و شجاعته، كما عرف عنه العدل و الإنصاف و اهتمامه بالعلم و كذا كل ما يتعلق بالدين و الدولة، و هكذا تحول لقب الأسرة من لقبهم الأصلي " حمدي" إلى لقب أبي اليقظان.[3]

ثم انتقل إلى بني يزقن ليواصل تعلمه على يد "قطب الأئمة" الشيخ أطفيش الحاج مُحَمَّد بن يوسف، و لما أخذ عن الشيخ علوم الدين و نظرا لحفظه المتقن لكتاب الله اتجه الشيخ سنة 1910 إلى البقاع المقدسة[4]، ثم اتجه نحو تونس حيث تتلمذ على أيدي علماء كبار في جميع التخصصات من أعلام جامع الزيتونة، و على رأسهم الشيخ الطاهر بن عاشور و الشيخ عبد العزيز جعيط المفتي المالكي و غيرهم، فأخذ عنهم كل ما تعلق بعلوم الدين و النحو و الصرف، كما اهتم أيضا بالعلوم الحديثة، فاتجه نحو المدرسة الخلدونية فتلقى فيها ما يتعلق بالرياضيات والجغرافيا واللغة الفرنسية[5]،حيث مكث بين الزيتونة و الخلدونية قرابة السنتين بين (ديسمبر 1913 و 1915) و قد تحمل الشيخ مسؤولية الإشراف على أول بعثة علمية جزائرية إلى الخارج سنة1914 [6]، فقد أشرف على توجيهها رفقة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش و مُحَمَّد الثميني.

أسندت للشيخ أبو اليقظان عند عودته إلى مسقط رأسه إدارة مدرسة أنشأها أبناء بلدته و طبق فيها النظام الذي كان يطبق في المدرسة الخلدونية بتونس، غير أنه ما لبث أن أغلقت المدرسة سنة 1916 نظرا للظروف الصعبة التي كانت تعيشها البلاد خاصة في فترة الحرب العالمية الأولى[7].

انضم الشيخ أبو اليقظان إلى الحزب الدستوري التونسي سنة 1920 بزعامة الأستاذ عبد العزيز الثعالبي، و بمشاركة إسحاق إبراهيم أطفيش و أحمد توفيق المدني و صالح بن يحي ، و من هنا كانت تونس محطة هامة في تاريخ الشيخ أبي اليقظان و كما قال الأستاذ مُحَمَّد ناصر:" فقد حركت تونس في نفسه أحاسيسه الوطنية ،و ألهبت نزعته تلك ما كان يراه على أعمدة صحافتها من نضال قومي و شعور وطني"[8].

كما أن العلاقة التي كانت تميز الشيخ أبا اليقظان بالشيخ الثعالبي كانت علاقة تعاون وود بين الطرفين ميزها الاتفاق حول القضايا الوطنية و الإسلامية، و يتحدث الشيخ أبو اليقظان عن الشيخ الثعالبي أنه قال: " لولا الميزابيون الذين يمدونني بالمال ما استطعت أن أمكث في باريس أكثر من أربعة أشهر، و لكني بفضلهم مكثت عاما و أربعة أشهر"[9].

2.جريدة الامة :

قبل الحديث عن أهم جرائد الشيخ أبو اليقظان، يجب التوقف عند محطة هامة في حياته و التي تمثل مرحلة بداية بزوغ للشيخ في ميدان الصحافة، فقد برزت كتابات الشيخ أبو اليقظان في بدايات القرن العشرين، و أكد أهمية الصحافة في هذا العصر في مواضع كثيرة منها قوله: " ... بناء على ذلك نقول إن الجرائد في هذا العصر من فروض الكفاية، لأن للوسائل حكم المقاصد وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[10].

و كانت بدايات العمل الصحفي بتحريره لصحيفة بيده أسماها (قوت الأرواح)[11] سنة 1913 التي قدمها للزعيم الليبي الشيخ سليمان الباروني حيث شجعه على هذا العمل و نصحه بمواصلة العمل على هذا المنوال[12] ،كما كانت له مقالات في جريدة الإقدام للأمير خالد، حيث أيد الشيخ أبو اليقظان النشاط الذي كان يقوم به الأمير خالد، مما جعله يدعو الجزائريين من تونس إلى مساندة حركته و هذا من خلال الصحافة التونسية ،ونظرا لهذا

الاتصال و تأييد الدعاية للأمير خالد بعث رسالة تقدير على صفحات جريدته الإقدام للشيخ أبو اليقظان يعرب له فيها عن تأييده لحركته و النصح له شاكرا.[13]

إلى جانب هذا كانت للشيخ مقالات في العديد من الصحف الجزائرية منها الفاروق لعمر بن قدور و النجاح لعبد الحفيظ بن الهاشمي و الصديق لمحمد بن بكير التاجر و المنتقد للشيخ ابن باديس.[14]

غير أن جهاد أبو اليقظان الصحفي برز خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين (1926-1938)، حيث غطت جرائده الثمانية معظم الأحداث التي ميزت الجزائر خاصة و العالم العربي و الإسلامي، و في هذا يقول الأستاذ مُحَمَّد ناصر " تعد من أهم المصادر التي لا يمكن للباحث أن يستغني عنها، ففي طياتها شهادة حية لفترة هي من أغنى فترات تاريخنا صمودا و مقاومة و حصيلتها مادة غنية متنوعة عن الحياة الجزائرية في جميع مجالاتها الإنسانية دينا واجتماعا و ثقافة و سياسة و اقتصادا.."[15].

كما أن صحفه كانت شجا في حلق الاستعمار وعملائه ونارا في قلبه، كلما حاول الاستعمار إطفاء نارها و إخماد روحها بتعطيل الصحيفة و مصادرتها يفاجئه بصحيفة أشد منها ضراوة و عزيمة، و أمضى سلاحا في مقاومته و مناجزته و مطالبته بالحق المغصوب و الشرف المسلوب.. ،[16] و لعل المتفحص للظروف التي عرفتها الجزائر و الرقابة التي مارسها الاستعمار على الجزائريين عامة يجد أن دخول الشيخ أبي اليقظان معترك الصحافة ارتبط بالمعارضة الشديدة للتهم التي ألصقت بالبعثة العلمية التي كان يرأسها عندما كان في تونس و التي ظهر تأثيرها على الطلبة عامة و كذا أهليهم في الجزائر، إضافة إلى السياسة الاستعمارية التي طبقتها فرنسا بعد إصدارها عام 1925 قانونا يلزم سكان الجنوب بالتجنيد الإجباري و هو ما دفع الشيخ أبا اليقظان إلى تأسيس أول جريدة له.

و كانت جريدة "وادي ميزاب " الأسبوعية أول صحف أبو اليقظان ظهرت في 1 أكتوبر 1926 و عطلت بتاريخ 18 جانفي 1929،وصل مجموع أعدادها إلى 119 عددا،

أما الجريدة الثانية فهي ميزاب التي برزت بتاريخ 25 جانفي 1930 و التي لم تر النور إلا في عدد واحد ثم عطلت هي الأخرى.

و الجريدة الثالثة للشيخ أبي اليقظان كانت جريدة المغرب، و كان تاريخ صدورها في 29 ماي 1930 و تاريخ تعطيلها كان في 09 مارس 1931 برز فيها حوالي 38 عددا، والملاحظ في هذه الجريدة بداية طبعها في المطبعة العربية منذ العدد السادس وهي المطبعة التي أسسها أبو اليقظان من ماله الخاص في فيفري 1931،ثم ظهرت جريدة النور التي كان ظهورها بتاريخ 15سبتمبر1931،أما تاريخ تعطيلها كان في 3 ماي 1933، برز منها 787 عددا،.

ثم جاءت جريدة البستان التي ظهرت بتاريخ 27 أفريل 1933 و عطلت هي الأخرى بتاريخ12 جويلية 1933، و مجموع أعدادها عشرة فقط.

و في تاريخ 21 جويلية 1933 ظهرت إلى الوجود صحيفة النبراس، التي برز منها 6 أعداد فقط، و كان تاريخ تعطيلها يوم 22 أوت 1933.

وبعد جريدة النبراس برزت جريدة الأمة – التي نحن بصدد دراستها-.

و آخر الجرائد اليقظانية كانت جريدة الفرقان التي امتدت من تاريخ 05 جويلية 1938 إلى 3 أوت 1938 و هي الأخرى لم يبرز منها سوى 6 أعداد فقط.

ومن هنا يمكن القول إن الصحف الثمانية للشيخ أبو اليقظان كانت بمثابة مرجع أساسي للحركة الإصلاحية في الجزائر عامة وللحركة الاصلاحية في وادي مزاب خاصة ، حيث أدت دورها بأتم معنى الكلمة، ذلك أنها اتسعت مجالاتها سياسيا و اقتصاديا و دينينا و

اجتماعيا، و اهتمت أيضا بقضايا العرب و المسلمين و من هنا فضل الشيخ أبو اليقظان كما قال الأستاذ مُحَمَّد ناصر " أن يضع القلم الصحفي نزيها نظيفا و يتجه للجهاد في جهات أخرى كالتعليم و التأليف و الوعظ و الإرشاد و كتابة الشعر" [17].

أصدر الشيخ أبو اليقظان جريدة الأمة والتي تعد اقتداء بجريدة النبراس وتعد هذه الجريدة مع جريدة الشهاب منبر الحركة الإصلاحية في الجزائر، إذ تميزت بطول عمرها بمائة وسبعين عددا وقوة تأثيرها إذ عايشت مرحلة هامة من تاريخ الجزائر كما ستفعل ذلك لاحقا، ظهرت في 08 سبتمبر 1933، لكنها توقفت ليصدر عددها الثاني بعد سنة كاملة، وذلك بعد الممارسات التي طالت الجريدة من قبل السلطات الاستعمارية، ونشير هنا إلى الرسالة التي بعث بها الشيخ أبو اليقظان إلى اللجنة البرلمانية والتي أشار فيها مدير جريدة الأمة إلى أهمية الصحافة " إن للصحافة أهمية كبرى ووظيفة عظمى وأثرا كبيرا في تنوير الأذهان وتثقيف العقول وتهذيب الأخلاق..." [18].

ويواصل في مقاله الطويل هذه الإجراءات التعسفية التي تقوم بها الإدارة الفرنسية ضد اللغة العربية التي تعتبر لغة أجنبية وهي لسان أكثر من ستة ملايين، لتعيش هذه الجرائد تحت طائلة التعطيل، مثلما حدث كل جرائده السابقة ، ويشير مدير الجريدة حول هذه المسألة قوله : " في سائر هذه التعطيلات لا يوجد تعطيل واحد يستند على حكم القضاء ولا على أي مخالفة قضائية، بل جميع ذلك إنما يستند على قرارات إدارية بحتة، وعلى إيعازات خاصة رغم إخلاص ونزاهة قلم التحرير." [19]

رغم اعتمادها النهج الإصلاحي، و رغم مستواها الفكري و الثقافي الرفيع، إلا أن جريدة الأمة تعرضت إلى المضايقة و التعطيل مثل الجرائد اليقظانية السابقة

و نظرا لشيوع جريدة الأمة وانتشارها في البلدان الإسلامية و العربية مثل عمان وزنجبار و تونس و المغرب الأقصى و مصر بفضل الأقلام التي ساهمت في تحرير بعض المقالات في الجريدة، فإن تعطيل الجريدة كان له أثر كبير في عدة مناطق .

3.أهم القضايا التي عالجتها جريدة الامة :

نشرت الأمة عدة مقالات تتمحور أساسا حول تكوين المعلم نفسه و تحديد أساليبه التعليمية، فنجد أن المدرسة الفرنسية تخرج طلابا منحرفي الأخلاق و الزوايا تنشئ جيلا كسولا، أما الكتاتيب فعادة ما تهتم بحفظ القرآن [20]، و يدعو كاتب المقال إلى جملة من النقاط التي يجب مراعاتها لإصلاح النشء و هي في رأيه:

1- يعلم تفسير القرآن و الحديث الشريف في جميع أدوار الدراسة الدينية و العامة.
2- يجب أن يتصل الأستاذ بتلاميذه اتصالا يوميا.
3- يجب أن تكون هناك رقابة عليا على الأساتذة و الطلبة لمعرفة سلوك كل منهم.
4- يحمل الطلبة والأساتذة على أن يعملوا بما يعلمون .
5- أن يدرس برامج المدارس الابتدائية كالأزهر زيادة على البرامج الدينية حتى تتوحد الثقافة و تتقارب الذهنيات و الأفكار بين أبناء الأمة المتعلمين[21]

وكتب أحد المصلحين أنه قبل إصلاح المناهج يجب القضاء على إهمال المعلم و ظاهرة التسرب المدرسي لأن: " المصيبة فيها ليست مصيبة التلميذ وحده وأبيه أو ذويه أو أستاذه فقط و لكنها مستقبل الأمة" [22]، و كتب الشيخ عدون في ذلك أيضا " فما دامت الأمة على ما نرى من إدبار عن العلم و التهاون بشأنه فالجريدة لا تنفك عن خطتها ولا تتحول عن سبيلها في موالاة الكتابة بمختلف الأساليب في هذا الموضوع"[23].

ولم يكتف كتاب الأمة بالاهتمام بالعلم و النظر في المادة التعليمية و على مستوى المناهج أكد أبو اليقظان على العناية بالتلاميذ في سن المراهقة و في ذلك يقول: " و يجب توجيه عناية ممتازة إلى الطلاب و الطالبات في سن المراهقة لأن هذا الدور هو أخطر الأدوار في حياة الناشئين و الناشئات بشهادة رجال التربية و علماء النفس..."[24]

والملاحظ أن كتاب الأمة اتفقت آراؤهم حول فكرة الإصلاح التربوي باعتباره يؤدي إلى تخرج جيل متدين و قومي يدافع عن مصالح أمته و يغير ما يجب تغييره.

أما في محاربة الجهل كتبت جريدة الامة بأنه عامل هدم لحياة الامم ويساهم في تخلفها وانهياره قيم المجتمعات التي تسعى الى الرقي والتطور في كل المجالات ، فنجده يذكر في جريدة وادي ميزاب أن لا حياة لأي مشروع في عهد الجهل ،ولا نجاح لأي عمل في مع الامية ،فالصديق الحقيقي للأمة والعامل المخلص هو من يسعى في نشر العلم والعرفان بين أبنائها ،ويعمل على إبادة جراثيم الجهل منها ، والعدو اللدود لها هو الذي يساعد على تفشي داء الجهالة فيها .[25]

وخلال تصفحنا لجريدة الأمة استوقفنا عدد من المقالات التي دعت إلى إنشاء مدارس حرة يوجهها العلماء والمشرفون عليها، وتسخير هذه المدارس للنهوض بالعلم (فهو نور السعادة وكوكب العز ومصباح الهدايا، ولنقتبس من نوره نورا يضيء بنا السبيل ويضمن لنا النجاح ويجبر الصدع ويلم شتاتنا المبعثر)[26].

وهذه المقالات التي عثرنا عليها في جريدة الأمة (الأعداد 46-49-51-53-55-57-59)، دعت إلى إشاعة العلم والتعليم بين الأفراد في المجتمع الجزائري، ومحاربة الجهل لأنه (مفتاح الشرور والآثام والأمراض الاجتماعية، والداء العضال الذي ما دخل أمة إلا فكك أوصالها ومزقها كل ممزق وتركها جسدا بلا روح)[27].

وللكاتب بلقاسم بن سيدي أوراق سلسلة من المقالات السابقة، جاءت تحت عنوان (هل في الإمكان إيجاد كلية دينية علمية في الجزائر)، إذ دعا إلى ضرورة الاهتمام بالعلم والنهوض به، باعتباره إحدى الركائز الأساسية في الحياة ويشخص الكاتب الأسباب التي تدعو إلى الابتعاد عن العلم أو كما سماها هو شقاء الجزائري في أمرين:

1- السبب الأول: الابتعاد عن التربية الإسلامية الحقة التي (تبعث فيه روحا وشعورا وتجعله يشعر بنفسه ويعرف قيمته ...، فينشأ على تزكية النفس، وعلو الهمة، وخفة الروح، إذ الإسلام مهد المدنية ومنبع الأخلاق الفاضلة ...)[28]

2- السبب الثاني: الأمراض الاجتماعية التي فتكت بالمجتمع الجزائري، ويقصد بها صاحب المقال هنا الفقر والعجز، وضعف الإرادة وعدم الاعتماد على النفس وبخل الأغنياء، وقلة المدارس.

وفي افتتاحية العدد 53 يتساءل الكاتب عن سر عدم اهتمام الأمة الجزائرية بإقامة كلية دينية علمية هذا الصرح الذي انهار على يد أبنائه وتشييده تشييدا حقيقيا، وإبرازه للوجود في صورته الأولى التي أضاء بها العالم أجمع، يوم كان يتخبط في بحر الجهل والآثام)[29].

ومن القضايا التي اهتمت بها جريدة الامة مسألة محاربة البدع والخرافات التي انتشرت في وسط المجتمع الميزابي ومن هنا أكد كتاب جريدة الامة على أهمية الاعتماد على الدين وأن المسلمين بعيدون كل البعد عن الدين " و بناء على ذلك فنحن نرى المسلمين بعداء عن أمانيهم الحقيقية بقدر بعدهم عن دينهم القويم"[30]، و يواصل الكاتب كلامه و يربط تطور الأمم والشعوب بمدى مقدرة الفرد على التخلص من شهواته وملذاته، والاهتمام بالموبقات والفجور والانغماس في أنواع المعاصي و المنكرات و الاستخفاف بواجب الدين[31].

و في آخر المقال يوجه الكاتب رسالة للشباب مفادها أنه لابد " أن تأخذ حيطتك التامة تسورها بسور منيع من الدين و تجعل في كل ثغر من ثغورها حصنا مجهزا بجميع أنواع الحراسة في كل ساعة و كل دقيقة... إن أمرك بيدك أيها الشاب المسلم فإذا تاقت نفسك إلى مدينة الحياة فلا تنفتح لك إلا بمفتاح الدين، و إذا كان لك غرام بالحرية فلا تجدها إلا بتحرير نفسك من أسر اللذائذ و الشهوات"[32].

و لعل هذا الوضع الذي تميز بانتشار مظاهر البدع و الخرافات التي وجدت في منطقة مزاب كالطواف بالقبور و بناء الأضرحة و التبرك بها و اعتقاد الشر و الخير و النفع و الضر في بعض الأولياء قد ارتبطت بالاحتكاك بمختلف الوافدين إلى المنطقة كالإخوان السود ذوي الأصول السودانية33، و قد تصدت الصحافة لكل هذه التجاوزات في العقائد أو في المعاملات و لهذا دعا عمدة جريدة الأمة الشيخ أبو اليقظان إلى ضرورة الاهتمام بالتربية الإسلامية " ... ذلك هو ضرورة الإسراع بوضع سياسة على أساس العناية بالدين الإسلامي تربية و تعليما... حتى تظهر آثاره الجليلة في اعتدال أفكارهم وأخلاقهم و متانة رجولتهم و حسن انتفاعهم بالحياة و نفعهم إياها"[34].

وبالنسبة للاصلاح الديني نشرت جريدة الامة عدة مقالات تحذر من نشاط المبشرين في منطقة مزاب وخاصة ما يلقاه هؤلاء المنصرين من مساعدة ومساندة من الإدارة الفرنسية لتحقيق مشاريعهم التنصيرية للمنطقة وفي هذا يقول " إن جماعات المبشرين ما زالوا ولا يزالون يلهون ويمرحون ذائبين في خططهم الماكرة من غير أن يلموا على شيء و كيف يرجعون عن غيهم و هم يجدون من الحكومة كل مناصرة و كل مؤامرة و يلاقون منها وسائل التشجيع و التنشيط"[35] و ذلك أنهم يتظاهرون بحسن إحسانهم للفقراء و السعي لنشر العلم و مساعدة السكان في حالة مرضهم، و الملاحظ حسب الكاتب أيضا توجههم نحو الأماكن و مواقف

الضعف يتخذونها مركزا لأعمالهم و نشاطاتهم من أجل تمرير أفكارهم " و يتخذون منها مراكز لأعمالهم ولا يعوقهم عن ذلك البعد أو المناخ أو تكبد المصاريف الباهظة"[36].ومما يبين لنا موقف الجريدة الصريح من نشاط المبشرين تنديدها من تدشين كنيسة بوادي مزاب قوله :خربي الذمم من المسلمين الذي يرقصون لتخريب معالم الدين بأيديهم ،ويطربون لمحو اثار الاسلام حتى من تلك الزاوية ويصفقون من اخراجهم من النور الى الظلام ومن الحياة الى الموت ،وتللك أدنى غاية التبشير .[37]

و رغم كل الوسائل التي سخرتها سواء الإدارة الفرنسية أو المبشرون أنفسهم إلا أن ترسخ الشخصية الاسلامية والتي تعد عنصرا أساسيا في بنائه و تكوينه التاريخي استطاع الاستقرار في النفوس نظرا لمبادئه السامية و قد اعتنقه البربر في شمال أفريقيا و أقبلوا على الدخول في الإسلام بصدور رحبة و قلوب راضية، كما أن هؤلاء المبشرين لم يكن لهم رجاء في الوسط المزابي نظرا لتمكن الميزابيين في عقائدهم الدينية و أصالة إسلامهم الصحيح[38].

و من الأهداف التي رسمها المبشرون بالاعتماد على الإدارة الفرنسية السعي نحو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم و تشويه الإسلام و تحطيم المناعة ضد الاستعمار بإنحلال الأخلاق، كما حرض المبشرون على إثارة قضية المرأة في كل بلد، و الدعوة إلى تحريرها و إخراجها سافرة إلى المجتمع لكي تنحل الأخلاق و تتحطم المناعة ضد الاستعمار " بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها ذكورا و إناثا حتى السن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، و بما أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة فإننا نعتقد أن الهيئات التبشرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية"[39].

كما هاجم أبو اليقظان الادارة الاستعمارية ودعا الى التصدي لحملات التنصير والتجنيس التي استهدفت المجتمع ويعود الفضل إلى اليقظة التي تحلى بها هؤلاء خاصة في ظل

حركة الاصلاح وانتشار الجرائد والصحف مثل جريدة الامة والتي ساهمت كثيرا في تحرير المجتمع من قيود الجهل الجمود والتخلف .

ومن القضايا الاجتماعية التي تعرضت إليها جريدة الامة مسألة الجمود الفكري ولمواجهة هذه الآفة التي انتشر عراها في وسط الأمة، و كذا لمجابهة هذا الاستبداد الذي تفشى كان لابد من العودة إلى العلم و العلماء و هي من الوسائل التي أكد عليها الشيخ أبو اليقظان لمعالجة هذه الآفة، لذلك حمل العلماء المصلحين المسؤولية الكاملة لأنهم العمدة و المرجع الأخير في عملية الإصلاح و الدعاية والتوجيه، وهنا في هذا المقال دعوة[40] صريحة من الشيخ أبو اليقظان إلى ضرورة تسخير العلم في خدمة الأمة: " نحن إذا كنا نبغي لوطننا العزيز الهناء والنهوض من كبوته الشنيعة فلنسعى لنشر العلوم على اختلافها بين كافة أبناء البلاد و تهذيب أخلاقهم قدر المستطاع"، و يضيف في هذا الشأن أيضا كاتب آخر من كتاب جريدة الأمة يقول: " هب هؤلاء المصلحون الفطاحل للتهذيب و الإفادة وتأسيس المدارس التي بها رقي الأمة، و تكوين النشء المشيد بالحياة و الإسلام والعروبة و بث العلم الصحيح في الأوساط الجزائرية"[41]، و يضيف نفس الكاتب الذي يشهر سيفه ضد الاستعمار الذي استغل هذا الجمود لتحقيق أغراضه، و أنه هو المستفيد من هذه الحالة التي عمت المجتمع، " فصار و الحمد لله إلا ما قل تشعر بوطنيتها و قوميتها و تدين لله بدين خالص و تقدس قرآنها و تذود عن حياتها بكل قواها بعدما كانت لا تعيرها نظرة سليمة سيما و الدوائر الحكومية لها و تسعى و لا تزال تسعى..."[42]

كما تطرق الشيخ عدون إلى هاته الفئة و تصدى الشيخ عدون لأفكار الجامدين وأشار إلى مواقف الأمة إزاء هذه المعارضة للحركة الإصلاحية الذين انقسموا إلى قسمين قسم يعارض جهلا منهم بحقيقة ما يدعو إليه المصلحون و في هذا يقول: "... و طائفة من الجهلة

المتعصبين الذين ليسوا من العلم في قبيل ولا من دبير و إنما دعاهم إلى معارضة الإصلاح تعصبهم لكل قديم و جمودهم على ما نشئوا عليه و ألمته طبائعهم من تقاليد و عادات بالية..." [43]، و هناك قسم آخر يعارض الإصلاح جحودا و استكبارا و هم يعلمون أنه الحق الذي لا ريب ولاشك فيه " المنحرفون عن الجادة عن قصد و عمد فلا يختلف في أول الأمر عن الوقف الأول بلطف وجدال بالحسنى... لا يقيمون لهم وزنا ولا يلقون لهم سمعا هناك يعودون إلى مراكزهم من قيادة قافلة الإصلاح.."[44]

كما تضمنت جريدة الامة مقالات عدة اهتمت فيها بموضوع المرأة، خاصة فكرة تعليم المرأة، و قد اعتمد الخطاب الإصلاحي عموما في معالجة هذه المسألة على أسلوب النقد، حيث عارضت من يدفع بالمرأة إلى المدرسة الفرنسية من وجوب تعليم البنت بها إسوة بالأوربيات " فتصبح النظريات الداعية إلى وجوب التعليم العربي الإسلامي للمرأة هدفا قوميا وطنيا" [44]، حيث عملت على ضرورة وجوب تحسين وضعيتها و تحريرها من الخرافات والجهل، وسعت إلى تغيير نظرة المجتمع التي تشوبها الريبة و الشك تجاه المرأة.

6.الخاتمة :

ونخلص الى القول بأن مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين مرحلة هامة في تاريخ الحركة الاصلاحية الجزائرية أين برزت عدة صحف اصلاحية منها جريدة الامة اليقظانية والتي تعد من صحف الحركة الاصلاحية في وادي مزاب ، ذلك أن الجريدة اتبعت أسلوب التغيير نحو الأحسن والبحث عن سبل التقدم والتطور للمجتمع، إذ هدفت الجريدة إلى محاولة تذويب الفوارق الطبقية، ومعالجة مشاكل المجتمع كالأخلاق والانحراف والآفات الاجتماعية، و بحثت الجريدة عن أسباب هذه الأوضاع المزرية، وفي نفس الوقت قدمت حلولا مناسبة للتخلص منها،

ولهذا دعت إلى ضرورة وحدة العقيدة والالتزام بحدودها، فقد اهتمت جريدة الأمة بدارسة كل المظاهر الاجتماعية التي كانت نتيجة للسياسة الاستعمارية، و لهذا عالجت مواضيع عدة مثل انتشار الخرافات و البدع. وعلى ضوء هذه الأوضاع الاجتماعية، نادت جريدة الأمة إلى إصلاح المجتمع و محاربة الخرافات التي لا تتماشى و تعاليم الإسلام الصحيحة، كما وجهت سهامها نحو العلماء و الجاهلين الذين ساهموا بشكل أو بآخر في تشويه صورة المجتمع الجزائري الإسلامي بأفكارهم الجامدة.

5. هوامش:

[1] **مكتبة عبد الرحمان بن عيسى حواش** الخاصة رقم الملف 1704.

العزابة :هي الانفراد فأطلق على الذين انقطعوا عن الدنياوالانشغال بالدين علما وعملا ،كما انها وسيلة الى الاخرة ،كما تعني العزوب عن الدنيا ومظاهرها البراقة وملذاتها ، للمزيد انظر : اسماوي صالح بن عمر ، نظام عزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب ، رسالة لنيل دبلوم الداسات المعمقة في التاريخ الاسلامي ، اشراف موسى القبال ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 1985-1986

[2]– احمد فرصوص :أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته ،(د–ط)،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،1991.ص15

[3] – دبوز مُحَمَّد علي :أعلام الإصلاح في الجزائر ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى ،مطبعة دار البعث ،قسنطينة ،1976..ص220.

[4] الجندي أنور :الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ،الدار القومية للطباعة النشر ،القاهرة ،1965، ص212

[5] السنوسي مُحَمَّد الهادي :شعراء الجزائر في العصر الحديث ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى تونس ،1986،ص111

[6] الصديق مُحَمَّد صالح :إعلام من المغرب العربي ، الجزء الثالث ، الجزائر ،2000.، ص740

[7] الجندي: المرجع السابق ، ص212

[8] محمد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،الطبعة الثانية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1983.، ص15

[9] النوري حمو محمد عيسى : دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ،المجلد الثاني ،دار البعث قسنطينة ، ص86.

[10] أبو اليقظان: الصحافة و الدين، وادي ميزاب، س1، ع6، 5 نوفمبر1926

[11] قوت الأرواح: عنوان أول صحيفة حررها أبو اليقظان وخطها بيده ،سنة 1913.للمزيد انظر :أبو اليقظان وجهاد.ص14

[12] ناصر محمد: المرجع السابق، ص14

[13] أنظر الرسالة ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما و حديثا، مجلد2، ص84

[14] محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،ص 16

[15] محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة، ص07

[16] حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابين، م2، ص85.84

[17] محمد ناصر: أبو اليقظان و جهاد الكلمة، ص297

[18] أبو اليقظان :"عريضة أبو اليقظان إلى لجنة البحث البرلمانية" ، الأمة ،س3، ع120 ،1937/05/04.ص1.

[19] نفس المقال السابق.

[20] ناصر محمد: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من (1903-1931) مجلد2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص27

[21] الدرديري: " العلم و العلماء "، الأمة، س1، ع32، 1935/07/09

[22] بدون إمضاء:" أين تقاس رغبة الأمة في العلم و التعليم "،الأمة، س2، ع29،1936/04/72

[23] سعيد: " حول التعليم (ها هو الموسم الدراسي على الأبواب فماذا أعددنا له) "، الأمة،س2، ع90، 1936/09/25

[24] بدون إمضاء: " ماذا أعددنا لموسم العقول؟ فهل نحن متهيئون؟ "،الأمة، س1، ع44 ، 1935/10/01

[25] دون امضاء : الامية في الامم شلل ، جريدة وادي ميزاب ، العدد 105 ، ص1

[26] بلقاسم بن سيدي أ وراق :" هل في الإمكان ...."، الأمة، س1، ع46 ،1935/10/15.

[27] بلقاسم بن سيدي أوراق:" هل في الإمكان إيجاد كلية دينية علمية في القطر الجزائري "، الأمة، ع46. 1935/10/15.

[28] نفس المقال السابق.

[29] نفسه.

[30] بدون إمضاء: " إلى الشبان المسلمين، هل يستقيم للمسلم أمر في هذه الحياة بغير التمسك بالدين؟ "،الأمة، س1، ع06، 1934/10/23

[31] بدون إمضاء: " إلى الشبان المسلمين، هل يستقيم للمسلم أمر في هذه الحياة بغير التمسك بالدين؟ "،الأمة، س1، ع06، 1934/10/23.

[32] نفس المقال السابق.

[33] قوبع عبد القادر :الحركة الإصلاحية في ميزاب والزيبان ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر ،معهد التاريخ،2006/2005، ص134

[34] عزيز سلامي: " قراءة في فكر أبي اليقظان "، مجلة الموافقات ، ص440

[35] غير معرف صاحبه: " ماذا يريد المبشرون بالمسلمين؟ عند تراب الجنوب تجد الخبر اليقين "،الأمة ، س3، ع161، 1938/03/05.

[36] نفس المقال السابق.

الحاج جلول بذرة ،ماذا يريد المبشرون من المسلمين ، جريدة الامة ،العدد161،افريل 37.1933

[38] حمو مُحَّد عيسى النوري: المرجع السابق، مج2 ، ص134

[39] الحاج موسى، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام ميزاب،رسالة دكتوراة،جامعة الجزائر ،2008/2007.، ص .157

[40] بدون إمضاء:" إلى رياض العلم ومناهل العرفان "، الأمة، س1، ع 3 ، 1934/10/02.

[41] بدون إمضاء:" فضل المصلحين على الأمة الجزائرية "، الأمة،س4 ، ع152 ،1938/01/25.

[42] نفس المقال السابق.

[43] بدون إمضاء:" موتوا بغيظكم يا من تطلبون الموت والناس يطلبون الحياة "،الأمة ،س3، ع 142 1937/11/02،

44 سعيد: "موقف الأمة إزاء حركة الإصلاح في ميزاب "،الأمة، س2، ع55، 1935/12/17.

[44] مُحَّد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، مج1، ص241.

قائمة المصادر والمراجع :

جريدة وادي ميزاب الاعداد :105-06

جريدة الامة الاعداد : 3-6-152-44-29-46-142-120-90-161-

مكتبة عبد الرحمان بن عيسى حواش الخاصة رقم الملف 1704

الصديق مُحَّد صالح :إعلام من المغرب العربي ، الجزء الثالث ، الجزائر ،2000

احمد فرصوص :أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته ،(د-ط)،دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،1991.

[44] – دبوز مُحَّد علي :أعلام الإصلاح في الجزائر ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى ،مطبعة دار البعث ،قسنطينة ،1976.

الجندي أنور :الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ،الدار القومية للطباعة النشر ،القاهرة ،1965،

السنوسي مُحَّد الهادي :شعراء الجزائر في العصر الحديث ،الجزء الأول ،الطبعة الأولى تونس ،1986

مُحَّد ناصر : أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،الطبعة الثانية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1983

ناصر مُحَّد: أبو اليقظان و جهاد الكلمة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980.

ناصر مُحَّد: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من (1903-1931) مجلد2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978،

النوري حمو مُحَّد عيسى : دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ،المجلد الثاني ،دار البعث قسنطينة.

قوبع عبد القادر :الحركة الإصلاحية في ميزاب والزيبان ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر ،معهد التاريخ،2006/2005

الحاج موسى، القضايا الوطنية والعربية الإسلامية من منظور أعلام ميزاب،رسالة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ حباسي شاوش ،جامعة الجزائر ،2008/2007.

عزيز سلامي، " قراءة في فكر أبي اليقظان "، مجلة الموافقات ، ص440.

: اسماوي صالح بن عمر ، نظام عزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب ، رسالة لنيل دبلوم الداسات المعمقة في التاريخ الاسلامي ، اشراف موسى القبال ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية 1985-1986.